The anxiety of the question between body and soul In two novels The Idiot by (Dostoyevsky) and Alzaman Almohesh by (Haider Haider). A comparative study

Dr. Eid Mahmoud*
Hala Gehad Ibrahim**

(Received 23 / 4 / 2024. Accepted 29 / 9 / 2024)

□ ABSTRACT □

The research traces the movement of fictional characters and distinguishes their fall under the authority of positions that conflict between their existence and harmony with their reality, and between their essence and their return to the sources of themselves, so these positions lose their significant compass. So the character stands in a position of bewilderment, anxiety, wanting to find reassuring answers, searching for balance and achieving a complete and satisfactory perception of the form of his existence.

The emotions of the fictional characters in these situations range between fully responding to the authority of the situation and being trapped in it, so we see the materialistic tendency overpowering them and robbing them of their spirituality and humanity, and trying to search and think to understand human nature and provide them with satisfactory answers to their eternal question about the secret of being, and how man exists and his purpose.

Keywords: question anxiety, body, spirit.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor - Comparative Criticism in the Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Latakia - Syria.**

** **Postgraduate student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Lattakia - Syria.**

قلق السّؤال بين الجسد والرّوح في روايتي الأبله لـ(دوستويفسكي) والزّمن الموحش لـ(حيدر حيدر) دراسة مقارنة

د. عيد محمود*

حلا جهاد إبراهيم**

(تاريخ الإيداع 23 / 4 / 2024. قبل للنشر في 29 / 9 / 2024)

□ ملخّص □

يتتبّع البحث حركة الشّخصيات الرّوائيّة ويميز وقوعها تحت سلطة مواقف تنازعها بين وجودها وانسجامها مع واقعها، وبين جوهرها وعودتها إلى منابع ذاتها، فتفقدها هذه المواقف بوصلتها الدّالة؛ فإذا الشّخصيّة تقف في موقع الحائر، القلق، الرّاغب في إيجاد إجابات مُطمّئنة، باحثة عن التّوازن وعن تحقيق التّصور الكامل المُرضي لشكل وجودها.

ويتراوح انفعال الشّخصيات الرّوائيّة بهذه المواقف بين الاستجابة الكاملة لسلطة الموقف والانحباس فيه، فنرى النّزعة المادّيّة تطغى عليها وتسلبها روحانيّتها وإنسانيّتها، وبين محاولة البحث والتّفكر لفهم الطّبيعة الإنسانيّة وإمدادها بالإجابات الشّافيّة عن سؤالها الأزليّ حول سرّ الكينونة، وكيفيّة وجود الإنسان وغايته.

الكلمات المفتاحيّة: دوستويفسكي، حيدر حيدر، قلق السّؤال، الجسد، الرّوح.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ – قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

** طالبة ماجستير- قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- اللاذقية-سورية.

مقدمة:

منذ أن وُجد الإنسان في هذا العالم وهو يفكر في الوجود الذي يحويه، وماهيّته. والوجود الذي نعنيه في بحثنا ما هو إلا تلك الدّلائل التي تشير إلى أسلوب البشر في الحياة، وهو الذي يتمظهر في حركة الإنسان وأقواله واختياراته التي لا يدرك لها تأثيراً، لكنّه لا يجد نفسه إلّا مدفوعاً نحوها مُقحَماً فيها بغير إرادة منه، ليعيش في صراع محتدم ومأزق وجوديّ متمثل في بحثه الدّائم عن الجدوى من وراء الوجود الإنسانيّ.

فأيّ معنى لحياة لا ترفرف في سمائها مُثل عليا وقيم سامية أخلاقيّة يهتدي بها الإنسان في واقعه المضطرب وينظم سلوكه، ويضيء له جوانب طريقه المظلم؟ من هذا المنطلق بدأت تجول في أعماق الإنسان تساؤلات حرفته عن طريق الاستقرار والهدوء والقنوع إلى طريق الألم والصراع والاضطراب الوجدانيّ، فراح يتساءل ويبحث عن معنى وجوده وغايته، وسعى جاهداً لمعرفة الوسائل التي تحرره من آلامه وتقوده إلى آفاق نقاء النّفس وشفاء الجسد، فاضطربت أعماقه بأسئلة عن الله، ومضمون الخير والشّر، الحياة والموت، عن معنى الحياة، وحتميّة الآلام، والشّعور بقلة الحيلة أمام حوادث الحياة الدّاهمة.

تلك الأسئلة التي اتّجه نحوها الفكر الإنسانيّ بالبحث والتّمحيص من أجل إيجاد حلول لها لتبعث الاستقرار في النّفوس والرّاحة في الصّدور، من هنا ابتدأ الفكر الإنسانيّ في محاولات جادّة في تعليل هذا التّرابط بين ذاته المادّيّة (الجسد) المعبّرة عن الانعكاسات الخارجيّة للمادّة، وكيانه الرّوحيّ (الرّوح) المعبّر عن المطلق والرّوح اللامحدود.

أهميّة البحث وأهدافه:

تأتي أهمية البحث من قدرة السّرد على نقل دراما الحياة التي تعجّ بالتّعقيدات الاجتماعيّة والنّفسيّة والفلسفيّة، فضلاً عن أهميّة الموضوع الذي يعالجه البحث في ذاته، فالتّجوّل في الفكر الإنسانيّ والنّفس البشريّة بحثاً عن أجوبة الأسئلة الكبرى، سيستمر إلى الأبد.

فضلاً عن أن أهمية البحث تأتي من محاولته الوقوف على ما في رواية الأبله (دوستويفسكي) ورواية الزّمن الموحش (حيدر حيدر) من قضايا ومواطن تلاقٍ واختلاف تحاول الدّراسة الأدبيّة المقارنة إظهارها، لم نجدها في دراسات نقدية أخرى، وهذا بحدّ ذاته يشكّل جديداً لبحثنا كون الدراسات ذات الصلة بالكاتبين قد اهتمت بجوانب أخرى نفسية وفلسفية.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج المقارن، الذي ينهل من مبادئ الاتّجاه الرّوسيّ في قراءة أوجه التّشابه والاختلاف، انطلاقاً من البُنى التّحتيّة الاجتماعيّة والنّفسيّة والأخلاقيّة التي تلقى صداها في البُنى الفوقيّة.

قلق السّؤال عند بطلي الرّوايتين:

في رواية (الأبله) ينتقل الأمير (ميشكين) من قرية صغيرة في سويسرا، تتّسم الحياة فيها بالهدوء والسّكينة، وتتميّز بطبيعتها الخلّابة وجبالها الشّاهقة، وقد أنفق السّنين الأربع التي أمضاها هناك برفقة الأطفال الذين يمثلون بدورهم الفطرة والنّقاء والطّهر والبراءة، ويصل إلى سان بطرسبرغ، حيث تدور معظم أحداث الرّواية ((**وكنت أقضي وقتي كلّه**

مع الأطفال، معهم وحدهم... وفي ذلك إنّما أنفقت السّنين الأربعة التي أمضيتها هناك... إنّ المرء لتبرأ نفسه وتشفى حين يعيش مع الأطفال)).[1]

إنّ تلك القرية تظهر وكأنّها العالم الأوّل، حيث كانت الرّوح داخل رحم الوجود الحقيقيّ، أي داخل الأصل الإلهيّ، منعّمة بوجود كليّ خالد، عالم مليء بالخير والطّهارة والتّقديس والسّعادة **((قالت آديلائيد:**

- **هذا أفضل. إنّ الأمير قد تعلّم في الخارج كيف يحسن النظر!**
- **لا أدري كثيراً! أنا لم أزد هنالك على أن أسترد صحتي. لا أدري هل تعلّمت أن أنظر. على كلّ حال، كنت سعيداً طوال الوقت!))**.[2]

وبقدر ما يمثله هذا المكان من السّعادة فإنّه يغدو في الوقت ذاته مولّداً للألم عندما يغدو مجرد ذكرى لعهد غابر **((لم أفكر يوماً في أن أترك تلك القرية ولا خطر ببالي ساعةً أنّني أستطيع أن أعود إلى روسيا في يوم من الأيام. كان يخيل إليّ أنّني مقيم هناك إلى الأبد))**[3] فهذه الرّوح قد انبتّت عن كونها الأصيل وباتت تشهد وجودها في كون أدنى، في عالم كثيف هي من اختارت الهبوط إليه وخوض تجربة البعد المادّيّ، عالم الحواس، وها هو دوستويفسكي يشير لهذه الفكرة على لسان الأمير (ميشكين) عندما كان يتوقف وحيداً بعد صعود طويل على الجبل في القرية السّويسريّة، حيث السّماء الزّرقاء والصّمت المطلق **((فهناك إنّما كنت أُحسّ أحياناً ذلك النّداء نحو المجهول، وأُقدّر أنّني لو مضيت إلى أمام قُدُماً، وأوغلت إلى بعيد، وتجاوزت ذلك الخطّ الذي تلتقي عنده الأرض بالسّماء، فسأجد جواباً عن كلّ شيء، وسرعان ما تنكشف لي حياة جديدة، أكثف كثافة وأعنف عنفاً وأحرّ حرارةً من الحياة عندنا ألف مرّة))**.[4]إنّنا نلمح في هذا القول إشارة إلى تنزّل الأرواح من الملكوت الأعلى حيث أرادت أن تختبر عالم المادّة، فالشّخصيّة التي أراد الكاتب توظيفها في هذه الرّواية، شخصيّةٌ مثاليّة، متكاملة تماماً لم يعرض لها نسيان جوهرها القدسيّ، فوضعت في المجتمع الدّنيويّ لتواجه نزاعات البشر وشهواتهم ورغباتهم وغرورهم وأنانيّتهم بالبراءة والمحبة غير المشروطة ولتشفي أرواحهم بلطفها المطلق، وهو ما لم تستطع شخصيات الوجود المشبعة بنزعتها المادّيّة من فهمه فاتّهمته بالبلاهة والغباء **((أنا الآن ذاهب إلى النّاس. وربّما كنت لا أعرف شيئاً، غير أنّ حياة جديدة قد بدأت، قررت أن أنفّذ مهمتي بشرف واستقامة، وثبات وصلابة. إنّي أُقدّر أنّ حياتي مع النّاس ستكون شاقّة ومملّة... وربّما عدّوني طفلاً هنا أيضاً. لا بأس! ثمّ إنّ جميع الملأ يعدّونني أبله! إنّي لأتساءل لماذا يعدّونني كذلك؟))**[5].

إذاً الأمير (ميشكين) يبدو كقدّيس أو ملاك سقط من عالم المُثل، وبقي محتفظاً بأصله النّورانيّ، وبراءته الأولى، فهو خيّرٌ، نقيّ السّريرة، صادق، يؤمن بالفضيلة ويسعى إلى تحقيق المُثل العليا، والوصول بالإنسان إلى عالم أكثر أمناً، وأكثر عدلاً، إنّه يسعى بكل ما أوتي من قوى لتحرير هذا العالم من الأنانيّة الضيّقة، وأن يصل بالإنسان لإدراك أنّ حقيقة وجوده لا تكتمل إلاّ بوجود غيره؛ لذا عليه أن يفهم أخاه الإنسان بدلاً من إزالته من طريقه، وما العداء بين البشر إلاّ حصيلة الجهل والأنانيّة والحسد، وعندما يعرف المرء قيمة غيره لا يمكن أن يمدّ له يداً للأذى، بل على العكس يصبح شغله الشّاغل أن يقترب من أخيه الإنسان وأن يندمج به، فـ(ميشكين) يمثّل الإنسان الخيّر كما يراه شوبنهاور

---

[1] **الأبله: فيودور دوستويفسكي، ترجمة سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت و الدار البيضاء، ط1، 2010، ج1، ص126 – 127.**

[2] **المصدر نفسه: ص108.**

[3] **المصدر نفسه :ص139.**

[4] **االمصدر نفسه: ص110.**

[5] **المصدر نفسه :ص139-140.**

حيث يقول: **((الإنسان الخيّر هو الذي يرتفع فوق مبدأ " الفرديّة" فيشعر بأنّ الوجود بأسره وحدة كاملة وأنّ البشر والكائنات جميعاً شيء واحد، هذا الإنسان الخيّر يستطيع أن يُكمل طريق الفضيلة والتّعاطف ليصل إلى درجة الكمال؛ أي درجة القداسة))**.[6]

الأمير (ميشكين) رمز للطّهارة والمثاليّة، إنّه يمثّل جوهر الإنسان، وكينونته، ويعبّر عن الجانب الرّوحيّ فيه، فهو لا يملك ضغينة تجاه أحد حتى من يحاول قتله –كما سنرى– وهو الإنسان في صفائه الأوّل دون المنغصات والضّغوط التي تفرضها الحياة على الإنسان، هو الأمير الذي ما إن ملك الأموال حتى راح يوزّعها بغير حساب لكلّ من يطلب منه، لا جهلاً أو غباءً أو بلاهةً كما وصفته باقي الشّخصيات بل لأنّه لا يعتمد في وجوده على ما يملك من مال ومكانة، ولا يقيّم نفسه بما لديه، فهو يمثّل الإنسان في أسلوب الكينونة حيث **((لا وجود للإحساس بالقلق وانعدام الأمان النّاشئين عن خطر فقدان الممتلكات، فإن كنت أنا من أكون ولست ما أملك فلا يوجد من يستطيع أن يسلبني أمني... ذلك أن مركزي موجود في داخل نفسي))**[7]، ففي أسلوب الجوهر، حسب إريك فروم، لا يملك الإنسان شيئاً، ولا يشتاق لملكيّة شيء، ولكنّه مبتهج يستخدم ملكاته استخداماً مثمراً ليتوحّد بالكون.

هذا ما لم تتمكّن شخصيات الرّواية من استيعابه، تلك الشّخصيات المأخوذة بعالم المادّة والوجود، وبأسلوب التّملك، فتفترض شخصيات الرّواية أنّ الأمير يفتقر للذكاء والفطنة بسبب أفعاله الخيّرة، وقلبه الطّيّب، وبساطته، وابتعاده عن قواعد المجتمع العقلانيّة التي تجعله محلّ سخريّة الآخرين و رفضهم، إلاّ أنّ هذا الرّجل المريض المصروع كان في حقيقة الأمر يعيش تجربةً من التّفتحات العُلويّة وهتكٍ لحجب الظّاهر، هو لم يدرس الصّوفيّة والحكمة ولم يقرأها، لكنّه كان يقف على عتبة عالم ساحر لبضع ثوانٍ تسبق دخوله في نوبة الصّرع، هذه العتبة التي تتيح له قدراً من معايشة الأصل حيث يشهد سريان الجمال الإلهيّ، ويخترق الحجب والمظاهر متخطّياً إياها إلى الحقيقة ويشعر بالخفّة والانتشاء والتّخفيف من آلام العالم المادّيّ و قيوده، فيجد نفسه في حالٍ من الانخطاف و**((تزول التّعينات، وتمّحي تلك العلامات الفارقة. تزول الأشياء بوصفها كثرة أو أفراداً. وهذا عائد إلى أنّ الذات الفرديّة، تزول هي نفسها في لحظة الإشراق))**[8].

فبساطة الأمير ولطفه ومحبته غير المشروطة تتبدّى للمادّيّ الكثيف بوصفها سقماً ومرضاً لأنّه مغاير لكونه ومفارق لطبيعته وهو ممن يصفهم ابن عربي بقوله: **((وهؤلاء هم الذين يسمون عقلاء المجانين، يريدون بذلك أنّ جنونهم ما كان سببه عن أمر كونيّ، من غذاء أو جوع أو غير ذلك، وإنّما كان عن تجلّ إلهي لقلوبهم، وفجأة من فجآت الحق فَجَأَتْهُمْ، فذهبت بعقولهم فعقولهم محبوسة عنده، منعمّة بشهوده، عاكفة في حضرته، منزّهة في جماله))**[9].

وهذا ما أشار إليه دوستويفسكي صراحة عندما أوضح أنّ إدراك جمال هذه اللحظة مقترن بلذّة قصوى، لذّة روحانيّة يحسّ بها إحساساً خاصاً، يرتقي من مدارك النّفس إلى مدارج القدس الأعلى **((إنّ تلك اللحظات إنّما هي جهد خارق في سبيل الوعي... "نعم، إنّ المرء مستعد لأن يهب حياته كلّها في سبيل هذه اللحظة"))**[10] .

---

[6] مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة: أمل مبروك عبد الحليم، مجلة كلية الآداب، العدد100، ص732

[7] الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، تر: سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، عالم المعرفة، العدد140، اوغسطس 1989، ص103.

[8] الصّوفيّة والسّوريالية: أدونيس، دار الساقي، ط3، د.ت، ص64.

[9] الفتوحات المكية: محي الدين بن عربي، تحقيق عثمان يحيى، ج4، الهيئة المصرية للكتاب، 1992، ص98.

[10] الأبله: فيودور دوستويفسكي، ج1، ص410.

هذه العذوبة التي ينالها من انكشاف الحقيقة له وتجلّيها، هذا الجمال والجلال يجعله في حالة من الحضور مع الجوهريّ والانسجام. يعجز اللسان عن وصفه ((**تلك اللحظة التي يتذكرها المرء ويتأمّلها حين تعود إليه صحته تبدو له أعلى درجة من درجات الاتّساق والانسجام والجمال ما دامت تُحدث له عاطفة لا عهد له بها ولا خطرت بباله هي عاطفة التّمام والامتلاء والقصد والاعتدال، والسّكينة والطّمأنينة، والاندماج بالصّلاة في أعلى مرّكب للحياة**))[11]فهذا الجمال هو تجلّ إلهي، هو الجمال المطلق الذي لا يمكن إدراكه إلاّ بالغياب عن الجسد والعقل؛ أي الغياب عن المحدود والجزئيّ والخروج من الوهم الوجوديّ ((**أمّا الجمال المطلق ذاته فيرى أفلاطون أنّ إدراكه لا يتم إلاّ بعد أن تنطلق الرّوح من رباطها الجسديّ الذي يقيّدها. يقول على لسان سقراط "لقد دلّت التّجارب على أنّه لو كان لنا أن نظفر من شيء ما بمعرفة خالصة لوجب أن نتخلص من الجسد، ولزم على الرّوح أن تشهد بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً**))[12].

وحالة الانعتاق من الذّات –هذه– لا يتمّ بلوغها إلاّ عندما يمتلك الإنسان قلباً صافياً من أدران الغيريّة، وعندما يتخلّص بشكل كامل من أنانيته، ويشعر بالتّعاطف والمشاركة الوجدانيّة مع الآخرين وهذا ما يمتاز به بطلنا الأمير (ليون نيقولايفيتش) فقد بدا تعاطفه واضحاً جليّاً مع جميع شخصيات الرّواية، ولا سيما شخصية (روجويين) التي تمثّل الوجود أو الجانب المادّيّ أو الإنسان في نمط التّملك، فإنّه والأمير (ميشكين) يمثّلان وجهيّ الوجود الإنسانيّ في العالم "الجوهر والوجود" ف((**هذا الوجود من خلال إطار الفكر البشريّ يتمثّل في صورتين إحداهما لها الواقع المادّيّ المحسوس والأخرى لها واقع روحيّ...**))[13].

إنّ (بارفيون روجويين) يجسّد الحب الشّهوانيّ والغريزيّ للمال وللمرأة، فهو يعيش من أجل الشّهوات المادّيّة ويوليها الأهميّة الكبرى في حياته، يولي اللّذات الفوريّة جلّ تركيزه في حين يفتقر إلى التّركيز على الأهداف الأخلاقيّة والرّوحيّة، وها هي (ناستاسيا فيليبوفنا) تصرّح له بذلك فتقول: ((**إنّ لك أهواء يا بارفيون سيميوفتش، أهواء تبلغ من العنف والعرامة أنّها يمكن أن تؤدي بك إلى سيبيريا، إلى السّجن... ولو اقتضى ذلك أن تموت جوعاً فوق أكياس الذّهب التي تملكها، لأنّك تفعل كلّ شيء بهوى شديد وولع عنيف، ولا يقود خطاك إلاّ الهوى الشّديد والولع العنيف**))[14].

ولعلّ العبث الذي يتغلغل في أعماق (روجويين) يجعله يعيش حالة من التّشتت بين الإيمان والشّكّ، فهو يعيش في صراع داخليّ بين نوازع الشّهوات وانغماسه في غمارها، وبين اضطراب قلبه وقلقه من شكّه وتزعزع إيمانه، يحجبه عن حقيقة الإدراك غفلته التي رقد فيها، لكنّه يريد إيماناً يمنحه اليقين، دون أن يبحث عنه بنفسه بل يريد إجابات جاهزة تريحه من مهمة التّفكير فيحظى بالسّعادة وراحة البال إذ ملك العقيدة الحقيقية في نظره؛ لذلك نراه يطرح تلك الأسئلة الأبديّة، نعم تلك الأسئلة التي يبحث فيها عن إجابات شافية ليحظى بالإيمان فيقول للأمير (ميشكين): ((**قل لي يا ليون نيقولايفتش ... كنت أريد منذ مدّة طويلة أن أُلقي عليك هذا السّؤال أأنت تؤمن بالله أم لا؟**))[15].

(روجويين) يرجو الإجابة من الأمير الذي استنكر واستغرب سؤاله ، لأنّ إيمان كلّ منهما مختلف عن الآخر ف(روجويين) يريد إيماناً يتّفق وشخصية الوجود وهو ((**أن يملك الشّخص إجابات عن الأسئلة المطروحة ،ليس عنده**

---

[11] **المصدر نفسه: ص410.**
[12] **علم الجمال الأدبي: يعقوب البيطار، دار الولاء، ط1، بيروت- لبنان، 2021،ص278.**
[13] **الصراع الفكري بين المادية والرّوحية : كمال الدين رفعت، دار لوران، د.ط، 2000،ص15 .**
[14] **الأبله: فيودور دوستويفسكي، ج1، ص389.**
[15] **الأبله: فيودور دوستويفسكي ،ج1،ص 397.**

دليل عقلانيّ عليها وهو يشتمل على صياغات توصّل إليها آخرون،يقبلُها... هذا الإيمان يخلق إحساساً باليقين ... وهو يريح الشّخص من أشقّ مهمّة، مهمّة التّفكير واتّخاذ القرار وبه يصبح الشّخص واحداً من المالكين السّعداء للعقيدة الصحيحة))[16].

لذلك فإنّ هذه الأسئلة –من زاوية ما– تلعب على الفراغ الكائن في نفس كلّ إنسان مهما عظم إيمانه، ذلك الفراغ الذي يفصل بين الشّكّ والإيمان، فيعيش حالة من التّناقضات، (روجويين) هذا الحائر الشّقيّ، الذي قهرته الشّهوة وأسره الهوى فَعَدِم قلبه معرفة الخالق ومحبته والأنس به؛ لذا يعيش ألماً رهيباً ويلتمس من إجابات الأمير الطّمأنينة ((... **روجويين حين قال له منذ قليل إنّه" بسبيل فقد إيمانه" لابدّ أنّ الرّجل يعاني ألماً رهيباً... إنّه يريد استرداد الإيمان الذي فقده، يريد استرداده بأيّ ثمن، مهما يكلّفه ذلك من عناء. إنّه يشعر الآن بضرورة ذلك، وهو من هذا في ألم شديد...نعم، الإيمان بشيء، الإيمان بأحد!))**[17].

هذه الحالة المؤلمة التي يشعر بها، وتلك الأثقال التي تحملها نفسه، وذلك التّأرجح بين انعدام إيمانه وانحصار قيمته فيما هو ماديّ فحسب، وبين شوقه إلى إشراقة الإيمان ونقاء السّريرة والجوهر، هو ما يجعله أيضاً في تأرجح في علاقته مع الأمير، فهو يحبه ويثق به ويشعر معه بالطّمأنينة عندما يكون قريباً منه، وكأنّه بقربه من الأمير العابق بالحبّ، والممتلئ بوهج من القبس الإلهيّ الذي تنطوي عليه نفسه في قرارها وعمقها الباطن إنّما يملأ ذلك النّقص والفراغ والإحساس بالخواء في أعماق روحه، لكنّه ما إن يبتعد عنه الأمير حتى يعود إلى قفص المادّة والوجود فتملأ الأحقاد والشكوك والغيرة قلبه، وتطفو رغباته وملذاته، فتقوده أنانيته وغروره والشّر القابع في أفكاره في كلّ تصرفاته((**حين أكون بقربك فإنّك تثق بي، حتى إذا ابتعدْتُ عنك بارحتك ثقتك وعُدْتَ ترتاب فيّ من جديد))**[18].

إنّ أوّل ما يلفت انتباهنا في رواية (الزّمن الموحش) لحيدر حيدر هو انتقال البطل من مكان أوّل يمثّل الصّفاء والنّقاء والعيش السّعيد، إلى مكان يمثّل الحاضر حيث الشّقاء والقلق والألم.

(شبلي عبد الله) بطل رواية (الزّمن الموحش) انتقل من الرّيف، وكان يقضي معظم وقته مع والده المتصوّف في البراري، حيث البحر والطّبيعة بأشجارها ونباتاتها وعبقها وشذاها الذي يحمل النّفس على الاطمئنان ويمنحها الشّعور بالسّلام، إلى مدينة دمشق التي تبدو في الرّواية ذات وجود ثقيل هش، فيقول شبلي: ((**قال أبي: مَن يحيا في البراري تصفو نفسه كهذا الفضاء، ومن يحيا في البراري يرتاح من ضغائن النّاس))**[19].

لقد بدا المكان الأوّل شبيهاً بحالة فردوسيّة، حيث كان الوجود الجزئيّ للذات محتوى داخل الأصل الكليّ ونعيمه، فالماضي هو الأصل الذي كان، والقرية بما فيها من صفاء ونقاء تمثّل عالم الخلود والمُثل، عالم الحقائق أو العالم الرّوحيّ الذي قُذف منه الإنسان ليجد نفسه مُلقى في عالمٍ غريب، عالم الوجود الشّقيّ، عالم المحسوسات، الذي يمثّله الحاضر وتمثّله مدينة دمشق ((**الرّيف هو البيئة الأقرب لهذا النّوع من الرّوايات التي تحاول أن تقدم صورة متخيّلة، محسنة، لبعض جوانب من حياتنا الواقعية لأنّ الرّيف هو الأقرب إلى الطّبيعة، والفطرة، ومن ثَم تكون الطّبائع الإنسانيّة فيه بعيدةً عن زيف المدينة، والمدنيّة...))**.[20]

---

[16] **الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، ص53.**
[17] **المصدر السابق: ص418.**
[18] **المصدر نفسه :ص379.**
[19] **الزمن الموحش: حيدر حيدر، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1993، ص57.**
[20] **الريف في الرواية العربية (عالم المعرفة): محمد حسن عبدالله، عدد 143، صدرت السلسلة في 1998، ص 116.**

لذا نرى أنّ الحياة المادّيّة التي يعيشها (شبلي عبدالله) لم تكن ترضيه، بل كان معلّق الخاطر مدفوعاً – من حيث يشعر أو لا يشعر– بالرّغبة في مقاربة كنه الأشياء ومعناها الكليّ، فكان راغباً في تجاوز محدوديته واستعادة وجوده الأصيل الذي يصله برحابة الوجود الأبديّ وإشراقه.

وفي الوقت ذاته كان صوت الجانب الماديّ يدفعه إلى الانغماس في عالم الشّهوات والتّشبّث به والتّنعّم بتناقضاته وألمه العميق، إنّ مشاعره المتباينة بين الجوهر والوجود جعلته متخبّطاً، حائراً، قلقاً، مثيراً العديد من التّساؤلات المشروعة والملّحة و المستمرة ((**وفي الذّهن طنين أبديّ، تساؤلات بعدد رمل البحار من يجيب عنها؟ وكيفما اتّجهت إبرة المغناطيس يظلّ سؤالٌ دائمٌ يدوي: ما قيمة الإنسان في العالم بلا ضوءٍ نفسيّ يهديه إلى نسوغ الأشياء؟**))[21]، (فشبلي) مرتبط بزمن الوجود النّاقص مشدودٌ إليه، ومن وجه آخر هو مرتبط بزمن الأصل الخالد ومشدود إليه أيضاً ((**المأساة تكمن في انعدام الرّضى، في النّقص الكونيّ لأن نطال الأشياء الطّبيعيّة، وهذا يبدو مستحيلاً... ثمّة سدود وموانع ممتدة من سماء آلاف السّنوات متغلغلة حتى الأشعار الماصّة في نفوسنا، فكيف نكون أسوياء إزاء هذا الحجَر الوجودي؟**))[22].

إنه يشكو بشكل دائم الوجود في هذا العالم السّقيم، الذي يحاصر الذّات فيشدّها بعيداً عن جوهرها، ولا يعرف كيفيّة النّجاة والخلاص ((**ومن خلال حسّ المنفى والصّدوع الدّاخليّة، شعرت بأنّنا أصغر من الحياة التي قُذفنا فيها... وفي زحمة طغيان هذا الشّعور القاهر تتساءل: كيف تنجو من هذا الجحيم؟**))[23] ، كما يبثّ قلقه وهمّه من انشطار الذّات أمام حوادث الحياة الدّاهمة، ونقصها هذا النّقص الذي لا يخلو منه كائن بشريّ فيشعر بقلّة الحيلة ((**لكنّ السّؤال الأبديّ الملّح: لماذا نولد ناقصين؟ وإذ لا نجد جواباً، نمضي عبر دروب ملتوية، حافلة بالانكسارات، والشّكاوى، وإيقاعات الإثم**))[24].

وهكذا فإنّ شعور (شبلي) بالنّقص والقلق، وتفاهة الوجود الذي يغرق فيه، وما يحمله عالم المحسوسات من معاناة وألم يبرز الحنين إلى حياة الجوهر والفطرة كباعث للسّعادة والنّشوة العارمة ((**حنيني الدّائم إلى الرّيف والجبال يزداد ويقوى، بعد أن كشفت لزوجة الأشياء وحمامات الدّفء اليوميّة هنا، والأكاذيب. دمشق مدينة ممسوسة...**))[25] إنّه عالم الألفة، عالم السّلام والطّمأنينة، الذي انفصل عنه بطلنا كما انفصل عن والده؛ لتبرز صورة الأب ذلك الصّوفيّ القاسي الحكيم الذي اصطحب (شبلي) وهو صغير إلى البراري والسّهول، وأنشأه في خيمة سهليّة مطلّة على البحر، راوياً له قصصاً أسطوريّة غامضة عن الأولياء وأهل التّقى والمتصوّفة الذين تطهروا بالتّأمل العميق في الكون فانفصلوا عن تفاهات البشر ودناءاتهم ((**روى له أموراً مبهمةً عن الطّبيعة والله والإنسان والرّوح الحيّة في الأشياء واندماج الأشياء في حركة واحدة، وروى له أنّ روح الله قائمةٌ في الرّيح والإنسان والحجر والماء وهذه الرّوح خالدةٌ لا تفنى**))[26] .

لكنّ الهوّة التي شعر بها (شبلي) عندما أُلقي به وسط العالم الماديّ (مدينة دمشق) عميقة جعلته _وهو المثقف الطامح_ ينغمس بكلّ ما هو ماديّ في مجتمع مضطرب تسوده أخلاق نفعيّة، وفوضى عارمة، وفساد لا يطاق، فأدرك أنّه أضعف من أن يقف في وجه هذه التّيارات الجارفة، كما آمن وانتسب إلى الحركة اليساريّة التي شكّلت المشهد

1 المصدر السابق: ص97.
[22]المصدر نفسه : ص55.
[23]المصدر نفسه: ص45.
[24]الزمن الموحش: حيدر حيدر،ص 35.
[25]المصدر نفسه: ص 160.
[26]المصدر نفسه: ص 196.

السّياسيّ في نهايات السّبعينات وبدايات الثّمانينات، فمُنيّ بالخيبة والانكسار والوجع جرّاء هزيمة 1967؛ لذا بدا وجوده مُثقلاً بحسّ المأساة وبدت نفسه في حالة من الانقسام والتّصدّع، كما بدا موجوعاً مذعوراً من قناعاته الموبوءة بالشّكّ؛ لذلك كان دائم العودة إلى ذاته، راجياً الإجابة من والده ((**سألت أبي: لماذا يتفرّج ذلك السّيد الله على الإنسان بساديّة؟ قال: أنت لا تعرف ما هو الله... وسألته أين يقطن الله؟ فضحك من غبائي وغاب**))[27].

إنّ بطلنا في حالة حيرة وتخبّط وضياع بين هذا الوجود الذي لا يمكن تجاوزه، والجوهر الذي يتشهّى العودة إليه، حتى بلغ به الأمر إلى استشارة طبيب علّه يجد عنده الدّواء ((**يسألني: مما تشكو؟ فأقول: فقدان الرّضى في النّفس والجسد، وإذ يبتسم بعذوبة من يدرك ذلك يسألني: ومن هو الرّاضي في نظرك... ثمّ هذا النّوسان بين الأحاسيس النّفسية والتّوضع الماديّ للأشياء، ثمّ أقول: أليس هناك تعارض بين هذه الأمور؟**))[28].

فلا تهدأ هواجسه ولا تركن مكنوناته، فالماضي رغم مضيه ينبض بالحياة، بينما يسير الحاضر على فراش الموت الجبان، فنجده دائم التّوجّه في ذاكرته إلى هذا الماضي وإلى والده الذي تركه وحيداً فيقول: ((**وسألته: لماذا مات هكذا بغتةً وتركني وحيداً؟ فأشار إليّ بأنّه لم يتركني، وفهمت أنّه يراني أبداً ويشاهد حياتي**))[29].

وبهذه الإشارة تكون قد اكتملت الصّورة، فهذا الأب الصّوفيّ ما هو إلاّ رمز للمطلق، ومصدر هذا الكون، وبُعد (شبلي) عنه ما هو إلاّ انفصال الإنسان عن أصله الخالد، والعودة الدّائمة بالذّاكرة لطرح الأسئلة الوجوديّة التي تقلق هذه الشّخصيّة الرّوائيّة ، و رجاء الإجابة من والده ما هي إلاّ عودةٌ إلى منابع الذّات لعلّها تجد الطّمأنينة وتصل إلى عالم لا أوهام فيه ولا كذب ولا فساد.

يبقى التّوازن والسّلام الدّاخليّ مطلب(شبلي)، ومجال بحثه الدّائم، لتلوذ به روحه الإنسانيّة القلقة، ويبقى هو سرّ الحياة والقانون الجاري في كلّ نظم التّكوين ((**بين هذين التّصورين كانت أرجوحتي تتحرك، محاولاً أن أعرف ما أجهل، أن أصل إلى التّوازن والسّكينة الدّاخلية التي أنشدها من خلال ازدحام نوايا العالم في رأسي**)).[30]

صورة الحبّ بين الرّوح والجسد:

إنّ الأمير (ميشكين) يقع بحبّ (ناستاسيا فيليبوفنا) من اللّحظة الأولى التي لمحَتْ عيناه صورتها، لكنّه لم يكن حبّاً رومانسيّاً كالذي ينشأ عادة بين الرّجل والمرأة وإنّما بدا حبّاً قائماً على التّعاطف والشّفقة، فقد رأى الأمير في عيني هذه المرأة آلاماً رهيبة، وأدرك أنّها روح محطّمة، كابدت كثيراً من المعاناة والأذى فيقول لـ(جانيا): ((**وجه مدهش ... ولكنّها قاست آلاماً رهيبة،... إنّ المرء يقرأ هذا في نظرتها**))[31] .

ولمّا كان الأمير (ميشكين) يمثّل الجوهر فإنّ حبّه نقيّ نابع من تفتّح قلبه وبصيرته، إذ شعر بعذاب (ناستاسيا) وشقائها وآلمته معاناتها، فهذه المرأة الشّفيّة جديرة بالرّحمة لشدّة ما عانته ((**في هذا الوجه ألم كبير وعذاب عظيم**))[32]، والأمير في حبّه إياها إنّما يحاول إنقاذها من نفسها، ومشاركة ألمها علّه يجد في ذلك عزاء له عن تألّمه لماضيها الملوّث، فبمشاركته آلامها تُسدّ الهوّة التي تفصله عنها، ويسقط كلّ حجاب يتوسّط بينهما، وهكذا يرتفع الأمير عن طريق الشّفقة –فوق مبدأ التّفرد– إذ يستشعر ألم الجميع؛ لأنّه يدرك بأنّ الوجود بأسره كلّ واحد، وأنّ الآخر ما هو إلاّ ذاته، وأنّ إرادة

---

[27] **المصدر نفسه: ص 130.**
[28] **المصدر نفسه: ص 186.**
[29] **المصدر نفسه : ص67.**
[30] **الزمن الموحش: حيدر حيدر، ص23.**
[31] **الأبله: فيودور دوستويفسكي، ج1، ص68.**
[32] **االمصدر نفسه: 151.**

الحياة التي تعمل في نفسه هي ذات الإرادة التي تتردّد لدى المخلوقات الأخرى، وهذا ما تقوم عليه الفضيلة حسب شوبنهاور حيث يرى أنّ الفضيلة تقوم **((على مبدأ الشّفقة أو التّعاطف، وهذا المبدأ هو بمثابة إنكار لمبدأ الفرديّة وبالتالي إنكار للأنانيّة))**[33].

هذه الرّوح المتألمة، الممتلئة بشعور العار التي لم تلقَ يوماً ماهي أهل له من العطف والمحبّة، كانت بحاجة إلى حبّ خالص ينتشلها من أوحالها التي أخذت تودي بها إلى الجنون ، هذا ما أدركه الأمير ورآه في (ناستاسيا) وحده من دون الآخرين، آملاً أن يدرك (روجويين) هذه الحقيقة أيضاً، فاستنكر واستغرب كيف يحبّ (روجويين) هذه المرأة حبّاً رومانسياً **((كان الأمير يرى أنّ من غير المعقول أن يحبّ الإنسان هذه المرأة حبّ غرام، بل لقد كان يرى أنّ ذلك أمر قاسٍ وغير إنسانيّ))**[34].

فالتّعاطف عند الأمير يكشف بذور الخير والجمال في كلّ مخلوق، وينتزع الكراهيّة السّوداء والقساوة والألم من قلوبهم ما إن تسقط أشعته عليهم، والمحبّة في نظره ما هي إلاّ الأخذ بيد الذّات المتألّمة وتقديم العون لها، للتّخفيف من عذاباتها، وفي هذا تعبير عن المحبّة الحقيقية لأنّها **((تعني أولاً وبالذّات الاتّجاه نحو الآخرين من أجل العمل على التّخفيف من آلامهم وتضميد جراحهم، وإدخال السّعادة إلى قلوبهم، فليست المحبّة صلوات تُرفع إلى الله، بل هي أفعال توجّه إلى الإنسان))**[35].

وهذا المفهوم يختلف تماماً عما هو عند (روجويين)، ذاك المجنون العاشق إلى حدّ الاستهتار بكلّ شيء في سبيل ملاحقته (ناستاسيا) والزّواج بها، مجسّداً الحبّ الشّهوانيّ الغريزيّ فهو من **((الأشخاص الذين يستبدّ بهم حافز الامتلاك، يريدون أن يملكوا الأشخاص الذين يحبونهم... وعموماً فإنّ العلاقات التي يسودها نمط التّملك تكون ثقيلة مرهقة، ومشحونة بالغيرة والصّراعات))**[36]؛ لذا تستبدّ الغيرة الجنونيّة بـ(روجويين) حين يعلم بالحب المتبادل بين (ميشكين وناستاسيا)، بل إنّه يتشاجر مع الأمير ويبدي نيّة في قتله، تمتم الأمير يقول: **((ذلك كلّه غيرة يا روجويين! هذا مرض. إنّك تفقد الاعتدال والقصد... إنّك تغالي وتبالغ))**[37].

المغالاة وفقدان التّوازن والاعتدال هما تعارض مع السّجيّة والفطرة التي جُبلت عليها النّفس البشريّة، وطريق يؤدي إلى اللامعقول، ويصل بنا إلى نهاية مروّعة، إلى المشهد الأكثر سوداويّة في هذه الرّواية، حين يأخذ (روجويين) بيد الأمير (ميشكين) إلى حجرة مظلمة في بيت الأول، ليجد جثة (ناستاسيا) على السّرير مطعونة بسكّين فيقول (روجويين): **((أمّا الآن، فلترقد الآن قريبة منا، قريبة منك ومني معاً!...))**[38].

هكذا نرى كيف اجتمع الجوهر والوجود معاً لنرى عاقبة سطوة الجانب المادّيّ على النّفس البشريّة، وإعلان الجوهر عجزه عن احتمال هذا الألم فيعود إلى مكانه الأصليّ بعد أن صَدمه العالم الأرضيّ بوحشيته، ليعود المرض إلى الأمير من جديد فيرجع إلى المصحة في سويسرا، ويُحكم على (روجويين) بعقوبة مادّيّة وهي الإعدام التي تتناسب ووجودنا الكثيف في هذا العالم.

---

[33] مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة: امل مبروك عبد الحليم، ص713.
[34] الممصدر السابق: ص416.
[35] مشكلة الحب: زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، ط3، د.ع، ص107.
[36] الإنسان بين الجوهر والمظهر: إيريك فروم، ص105-106.
[37] الأبله: : فيودور دوستويفسكي، ج1، ص393.
[38] الأبله: : فيودور دوستويفسكي، ج2، ص 516.

إنّ انقسام (شبلي) بين الجوهر والوجود ناتج عن صدع (أنطولوجي)، صدع غير قابل للتّجاوز؛ لذلك نراه تارة غارقاً في عالم الوجود المثقل بالخيبة والإحباط والهزيمة، فهو المناضل شديد الحماسة المؤمن بقضايا الثّورة والتّغيير، الحامل الهموم الوطنيّة القوميّة، الذي صُدم بإخفاق طموحات التّغيير في التّجربة السّياسيّة وخُدع بوعود وشعارات جوفاء، فملأه الإحساس بالضّياع والهشاشة، وتارة نراه توّاقاً منجذباً إلى سموه الخاص، متوجّهاً إلى روحه وحلمها في العودة إلى جوهرها القديم، وأصلها الخالد ((**امتدّ صمت كالقبر، أُبحر في سفينتي الدّاخلية، أرسم جمهوريات للفرح البشريّ، يوتوبيا بتشريعات تسنّها الحريّة والتّطّهر من كبت التّاريخ. هل العربيّ محكوم بقوانين الدّين والوراثة؟ حَرِرْه من قفص التّاريخ المظلم يولد من جديد، ولكن كيف؟... لكنّه في الظّلمة يضع قدماً وفي النّور يضع أخرى، وهو في المتاهة، جسده في العصر لكنّ نفسه تنتمي إلى القرون المنحدرة، إنّه ينوس بين الله والاشتراكيّة**))[39]؛ لذلك وجد في جسد (أمينة) تعويضاً له عن بؤسه وغربته في عالم المادّة، ومحاولة للخروج من عطبه وعجزه عن تفسير ما يحدث فيه، فجسد (أمينة) هو المأوى الذي هرع إليه (شبلي) باحثاً عن الرّاحة والسّعادة الدّنيويّة، المتعة واللذة المادّية.

لقد اختزل (شبلي) أمينة إلى مجرد جسد يفيض لذة وشهوة واختزل هذا الجسد إلى بعده الجنسيّ؛ فنظر إليها من خلال رغباته علّه يدفن خيبته وفشله في الجنس، فيمارس عشقه دون أن يتمكّن هذا العشق من سدّ فجوات النّفس وتطهيرها من الرّواسب التي خلّفها الواقع الذي بطش بأحلامه، وهذا طبيعيّ في عالم المادّة والوجود، لأنّ الإنسان الذي يحصر نفسه في حدود الحواس ويجعل الجانب الشّهوانيّ الذي يتغذى من الارتباط بالجسد الأساس –هذا الجسد المحكوم بمحدوديّته وقدرته المعطّلة– لابدّ أن يبقى في بحث دائم عما يشبع به نقصه الوجوديّ؛ لكن دون طائل، فـ(شبلي) في علاقته بـ(أمينة) يُسكت نبضه الحيّ، ويبقي على الحياة فقط في قشرتها المتدّرنة، فهو ينشد اللّذة في علاقته بها لكنّه يفقدها ما إن تهدأ ثورة الجسد فإنّ ((**هؤلاء واغترافهم لمزيد من الشّهوات التي يوفرها لهم المجتمع المعاصر، لا تولّد إلاّ درجات متفاوتة من الإثارة ولكنّها لا تولّد أبداً فرحة في القلب... وهذا يدفعهم بالضّرورة إلى البحث الدّائم عن المزيد والجديد من اللّذات المثيرة**))[40]

يقول (شبلي): ((**كان ذلك الشّعور الكسيح يجتاحني بعد لقاءاتي مع منى، كذلك عندما أنتهي أنا وأمينة من الفعل الجنسيّ متمددين كجريحين في مستطيل الصّمت داخل فراغ العالم الموحش**))[41]؛ لذلك نراه باحثاً عن إجابات في مثل قوله ((**ومن سماوات خفيّة انهمر الحزن، شطر لحظة الفرح المباغت وولدت اليقظة. لماذا الفرح ناقص فوق هذه الأرض الملعونة؟**))[42].

ويأتي كلام (فروم) إجابة لما يدور في ذهن (شبلي) بأنّ ((**أيّ محاولة مادّيّة لا تستطيع أن تملأ الفراغ الدّاخليّ في النّفس البشريّة، ولا أن تخفف أحاسيس الملل والوحدة والاكتئاب التي هي أصل كلّ داء**))[43].

هذا البحث يفرض على (شبلي) أن يتجه إلى جوهره وأعماق ذاته، فهو مشدود إلى أصله الخالد، يحنّ إلى حياة الرّوح والجوهر وما فيها من طمأنينة وسلام ورضى ((**لو قلت لأمينة مليون مرة، أنا مفتّت من الدّاخل، موسوم بلعنة البحث**

[39] **الزمن الموحش: حيدر حيدر، ص130.**
[40] **الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، ص109-110.**
[41] **الزمن الموحش: حيدر حيدر، ص46.**
[42] **المصدر نفسه: ص 72.**
[43] **الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، ص106.**

عن الأصل، عن الصّدق، عن الرّضى، وعن مطلقي الخاص في الأشياء لبدوت أمامها ممسوساً يهلّوس بكلمات هيروغليفية))[44] .

لكنّ حنين (شبلي) إلى الجوهر وعالمه لا يمكن بلوغه إلاّ من خلال وسيط يتيح له قدراً من معايشة الاصل عبر الصّور التي يستحضرها خياله، أو عبر شكل من أشكال الوجود ينطوي على سرّ الألوهيّة وهنا تتبدّى (منى) الشّخصيّة الأنثويّة الّرئيسة في رواية (الزّمن الموحش) والتي تلوح في بعض الجمل كشخص محسوس تصنع القهوة وتشعل الرّاديو، لكنّها تبدو في معظم الرّواية كرمز معنويّ فهي تجمع بين الطّبيعة البشريّة والرّمزيّة الإلهيّة يقول (شبلي): **((هل كانت حقيقة؟ هل كانت وهماً؟ هل كانت ريحاً؟ هل وجدت بأبعاد مادّيّة أم أنّ الذّاكرة هي التي خلقتها ولوّنتها؟ أم أنّها كانت مزيجاً من الحلم والحضور والرّمز؟))**[45] وفي حوار بين (شبلي) و(منى) تظهر فيه (منى) كشيء غير محسوس يقول السّارد: **((ولأوّل مرّة سألتني عن ابني القادم من امرأة أخرى ماذا سأسميه؟ ...آدم! ... ردّت بعذوبة: آدم كان إنساناً مثلنا. وغمزت بعينها اليسرى: أعني مثلك)).**[46]

وهنا يمكننا القول إنّ هذه الشّخصيّة الأنثويّة قد تكون حالة ذهنية مُتخيّلة في ذهن بطل الرّواية، فيكون ما يدور من حوار بينهما (شبلي ومنى) موجّهاً من (شبلي) وإليه، وقد تكون (منى) كرمز أنثويّ إشارة إلى الإلهيّ للتّعبير عن المطلق من خلال الصّورة الحسيّة، أو رمزاً للحقيقة التي يبحث عنها الإنسان، لكنّها –في كل الحالات– محاولة من (شبلي) كي يمنح تجربته الدّاخليّة هيئة حسيّة يمكن التّعبير عنها، فتكون (منى) مَعبراً للإلهيّ ووسيلة للعودة إلى الأصل النّقيّ، فهي من المعطيات التي تبدو كتموجات تلوح للوعي وتأخذه بإشعاعها إلى الزّمن المقدس، أو تهيء له إمكانية الانفتاح عليه، لتكون سبيله إلى زمن الأصل والخلود وتوهّج حلمه بالعودة والخلاص[47].

يقول (شبلي): **((منى وحدها مزاري، قدس أقداسي، معبدي الذي أتعمّد فيه عندما يداهمني التّلوث والتّدجين...هذا الموئل ألوذ به في حميا العالم القحل المتصارع))**[48].

(منى) ملاذ (شبلي) من وجوده الهشّ في عالم المادّة، لكنّها ملاذه الدّاخليّ يرتدّ نحوها رغبة منه بالانعتاق من عالم يلد الشّقاء ويورث المعاناة، ورغبة في تلّمس عالم الجوهر بما فيه من طمأنينة وسلام، فيستدعي (منى) بالخيال **((ساعات والخمرة تسوح في خلايا الدماغ... ومنى لا تأتي... ومن كل مكان في النّفس والجسد الجراح تنزف. وهذا المواطن البائس ينزف لعجزه عن التقاط المركز والأشعة الدّاخليّة. ثمّ هذه المنى لماذا لا تأتي))**[49].

وهكذا فإنّنا نجد توازياً بين (أمينة) التي تُعدّ إشارة إلى الوجود الظّاهريّ والجسديّ، ورمزاً للعالم المادّيّ بمتعه الآنيّة الزّائلة، وبين (منى) التي ترمز لجوهر الوجود ولعالم الرّوح بسرمديّته، والتي تُكمل النّقص الكونيّ الذي يعاني منه البطل، وتعود به إلى حقيقته الأولى حيث الرضى الأبديّ، و(شبلي) ينوس بينهما فيغدو ممزّقاً بين انغراسه في الوجود وانجذابه إلى الجوهر.

---

[44] المصدر السابق: ص 88.
[45] المصدر نفسه: حيدر حيدر، ص10.
[46] الزمن الموحش: حيدر حيدر،ص190.
[47] ينظر، الزمن الأبدي، الشعر الصوفي (الزمان، الفضاء، الرؤيا): وفيق سليطين، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط2، 2007 ص36.
[48] المصدر السابق: ص118.
[49] المصدر نفسه: ص103.

خاتمة:

- قابلت روايتا (الأبله) لدوستويفسكي و(الزّمن الموحش) لحيدر حيدر بين الرّيف (عالم الجوهر والخلود) والمدينة (عالم الوجود والمادّة)، فكان المكان الأوّل (الريف) غنيّاً بمعاني السّلام والطّمأنينة والبراءة، في حين بدا المكان الثاني (المدينة) خانقاً باعثاً على المعاناة والألم، وانتقلت الشّخصيتان الرّئيستان في كلّ من هاتين الرّوايتين من مكان الطّهر والقداسة إلى عالم الشّقاء والدنس، في إشارة إلى ما يتعلق بأصل الرّوح الإنسانيّة، التي تتحدث عن سقوط روح الإنسان من عالم أعلى إلى عالم أدنى.

- في رواية (الزّمن الموحش) كانت الشّخصيّة الرّئيسة تعاني انقساماً حادّاً (بين الجوهر والوجود) فهي حائرة تائهة بين ارتباطها بكلّ ما هو مادّيّ في حياتها اليوميّة، وبين شوقها إلى الأبديّة وبلوغها السّعادة والرّاحة والرضى، إنّها دائمة البحث عن الجوهر بدليل الأسئلة المصيرية التي جاءت على لسان (شبلي).

في حين أنّ رواية (الأبله) جعلت من شخصية الأمير معادلاً للجوهر وشخصية (روجويين) ممثلة للوجود، فتمتّعت شخصية الأمير بالهدوء والسّعادة والرّضى، في الوقت الذي امتلأت به شخصية (روجويين) بالهشاشة والألم والاندفاع والقلق الذي أثار عنده تلك الأسئلة المصيريّة، فجاءت الأسئلة الملّحة على لسان شخصية الوجود.

- في رواية (الزّمن الموحش) شبلي المتخبّط بين جوهره ووجوده جعل من أمينة وعاءً جنسيّاً له، علّها تعوّضه في لحظات الانتشاء هذه عن ضعفه وضحالة دنياه، في حين يبحث عن عالم الطّهر حيث الرّاحة النّفسيّة المفقودة فيدركه في (منى) التي تمثل حالة روحيّة تدلّ على حاجة شبلي لله ، ورغبته الملّحة في التّقرب منه.

أمّا رواية (الأبله) فقد وقعت كلّ من شخصيتي الوجود والجوهر في حبّ ذات المرأة (ناستاسيا فيليبوفنا) لكنّ شخصية الجوهر كان حبّها وجدانياً نابعاً من الرّغبة في مشاركة الألم الذي يوحّد بينهما ويصهر قلبيهما في بوتقة واحدة، أمّا شخصية الوجود فكان حبّها غرائزيّاً جامحاً يهدف إلى تملّك المحبوب والاستئثار به.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1-الأبله: فيودور دوستويفسكي، ترجمة سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت و الدار البيضاء، ط1، 2010، ج1، ج2.

2-الزمن الموحش: حيدر حيدر، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1993.

المراجع:

1-الإنسان بين الجوهر والمظهر: إريك فروم، تر: سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، عالم المعرفة، العدد140، اوغسطس 1989.

2-الريف في الرواية العربية (عالم المعرفة): محمد حسن عبدالله، عدد 143، صدرت السلسلة في 1998.

3-زجر النفس: المنسوب للنبي إدريس (ع) المعروف (بهرمس الحكيم)، تقديم وتعليق السيد حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، ط1427،1هـ-2006م.

4-الزمن الأبدي، الشعر الصوفي (الزمان، الفضاء، الرؤيا): وفيق سليطين، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط2، 2007.

5-الصراع الفكري بين المادية والرّوحية : كمال الدين رفعت، دار لوران، د.ط، 2000.

6-الصّوفيّة والسّوريالّية: أدونيس، دار الساقي، ط3، د.ت.
7- الفتوحات المكية: محي الدين بن عربي، تحقيق عثمان يحيى، ج4، الهيئة المصرية للكتاب، 1992.
8-مشكلة الحب: زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، ط3، د.ع.
9-مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة: أمل مبروك عبد الحليم، مجلة كلية الآداب، العدد100.
10-علم الجمال الأدبي: يعقوب البيطار، دار الولاء، ط1، بيروت- لبنان، 2021.

List of sources and references:

Sources:

1- The Idiot: Fyodor Dostoevsky, translated by Sami Al-Droubi, Arab Cultural Center, Beirut and Casablanca, 1st edition, 2010, Part 1, Part 2.
2-The Lonely Time: Haider Haider, Amwaj Printing, Publishing and Distribution House, 4th edition, 1993.

the reviewer:

1- The concept of goodness in modern philosophy: Amal Mabrouk Abdel Halim, Journal of the College of Arts, Issue 100.
2- The Countryside in the Arabic Novel (The World of Knowledge): Muhammad Hassan Abdullah, issue 143, the series was published in 1998.
3- Eternal time, Sufi poetry (time, space, vision): Wafiq Sulaiteen, House of the Cultural Center for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 2nd edition, 2007.
4- The intellectual conflict between materialism and spirituality: Kamal al-Din Rifaat, Laurent Publishing House, ed., 2000.
5- Literary Aesthetics: Yaqoub Al-Bitar, Dar Al-Walaa, 1st edition, Beirut - Lebanon, 2021.
6- Man between essence and appearance: Erich Fromm, Translated by: Saad Zahran, reviewed and presented by Lutfi Futtaim, The World of Knowledge, Issue 140, August 1989.
7- The Meccan Conquests: Muhyiddin Ibn Arabi, edited by Othman Yahya, Part 4, Egyptian Book Authority, 1992.
8- The Problem of Love: Zakaria Ibrahim, Misr Printing House, 3rd edition, D.A.
9- Self-restraint: attributed to the Prophet Idris (peace be upon him), known as (Hermes the Wise), presented and commented by Mr. Hussein Najib Muhammad, Dar Al-Mahja Al-Bayda, 1st edition, 1427 AH - 2006 AD.
10- Sufism and Surrealism: Adonis, Dar Al-Saqi, 3rd edition, D.T.